موجز لأهم أنباء الغيب

كتبه
محمد بن أحمد بن محمد العماري
عضو الدعوة والإرشاد بعسير

دار الوطن للنشر والتوزيع



الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار الوطن للنشر ـ الرياض

ص.ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس ٤٧٢٣٩٤١

البريد الالكتروني: pop@dar-alwatan.com

موقعنا على الانترنت: www.dar-alwatan.com

المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾(١).

جعل النعيم للأبرار، والجحيم للفجار، جاء ذلك في الأخبار؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾(٢)، ومن قرأ خبره علم بعد ذلك نبأه؛ قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾(٣).

قال قتادة رحمه الله: «بعد الموت».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «يابن آدم، بعد الموت يأتيك الخبر اليقين».

فالأنباء تستمر، وفي مكانها تستقر؛ قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٤).

والصلاة والسلام على من كان بالخير مبشراً ومن الشر محذراً، وبما بعد الموت مخبراً ولكل ما أوحي إليه مبلغاً.

نشهَدُ بالحقِّ بلا ارتيابِ ... بأنه المرسَلُ بالكتـاب
وأنه بلَّغ ما قـد أرسِـلا ... به وكُلَّ مـا إليـه أُنْـزِلا

(١) سورة الكهف: الآيات ١-٣.
(٢) سورة الانفطار: الآيتين ١-٢.
(٣) سورة ص: الآية ٨٨.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٧.

أما بعد:

فإن أنباء ما بعد الموت تهم كل إنسان؛ حتى يعرف مصيره، ويحدد مسيره؛ قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾(١)، وهذه الأنباء في السنة منشورة، وبالقرآن مسطورة، وفي الركن السادس من أركان الإيمان منشورة، والركن السادس من أركان الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر، الذي قال الله فيه: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾(٢).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ؛ أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقال: «**الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»(٣).

والإيمان باليوم الآخر يشتمل على عدة أشياء:

يشتمل على: عذاب القبر ونعيمه، والبعث والنشور، والجزاء والحساب، والكتب التي سُجِّلَتْ فيها أعمال العباد الحسنات والسيئات، والميزان الذي يَزِنُ الله به أعمال العباد يوم القيامة حسناتهم وسيئاتهم، ويشتمل على حوض النبي ﷺ، والصراط الذي يُنْصَبُ وسط النار، والظلمة التي تكون على الصراط، والقنطرة، والجنة.

❑ ❑ ❑

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

فصل
في عذاب القبر ونعيمه

فيجب على كلِّ مسلم ذكرًا كان أو أنثى أن يؤمن بأن للقبر نعيماً وعذاباً كما أخبر به النبيُّ ﷺ في قوله: «القبرُ رَوْضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حُفَرِ النار».

وقال الحافظ الحكمي رحمه الله:

والقبرُ رَوْضةٌ من الجنَانِ ... أو حُفْرةٌ من حُفَرِ النيرانِ
إنْ يكُ خيراً فالذي منْ بعده ... أفضلُ عند ربِّنا لعبده
وإنْ يكنْ شراً فما بعدُ أَشَدّ ... ويلٌ لعبدٍ عن سبيلِ الله صَدّ

وقال القحطاني رحمه الله:

والقبرُ صَحَّ نعيمُهُ وعذابُهُ ... وكلاهما للخلْقِ مُدَّخَرَانِ

وقال السفاريني رحمه الله:

وكلُّ ما صَحَّ من الأخبارِ ... أو جاء في التنزيل منْ آثارِ
منْ فتنةِ البرزخِ والقبورِ ... وما أَتَى في ذا منَ الأمورِ
وأنَّ أرواحَ الورى لم تُعْدَمِ ... مَعْ كونها مخلوقةً فاستفهمِ
واجزمْ بأَمْرِ البعثِ والنشورِ ... والحَشْرِ جَزْمًا بعد نفخِ الصُّورِ
كذا وقوفُ الخلْقِ للحسابِ ... والصُّحْفِ والميزانِ والثوابِ
كذا الصراطُ ثم حَوْضُ المصطفى ... فيا هَنَا لِمَنْ به نالَ الشِّفَا

فنؤمن بأن للقبر نعيمًا للمؤمنين؛ كما أَخبَرَ به النبيُّ ﷺ،

ومن نعيم القبر: أنه يوسَّع على المؤمن فيه مد البصر، وينوَّر له فيه، ويجعل عليه روضة من رياض الجنة، ويفتح له نافذة إلى الجنة؛ فيرى مقعده في الصباح والمساء حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة ردَّ الله روحه في جسده، وأخرجَهُ من قبره بروحه وجسده اللَّذَيْنِ كانا في الحياة الدنيا، وأدخله في النعيم الذي كان يراه من قبره.

ونؤمن بأن للقبر عذابًا للكافر والعاصي؛ كما أخبر الله به في كتابه، وكما أخبر به النبي ﷺ، ومِنْ عذابِ القبر أن يضيق على الكافر والعاصي حتى تختلف فيه أضلاعه، ويجعل عليه حفرة من حفر النار، وترسل عليه الحيات والعقارب، فتلدغه وتلسعه، ويفتح له نافذة إلى النار فيرى مقعده في النار حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة، رَدَّ الله روحه في جسده، وأخرجه من قبره بروحه وجسده اللَّذَيْن كانا في الحياة الدنيا، وأدخله في النار التي كان يراها من قبره؛ قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما منكم مِنْ أحد إلا ويُعْرَضُ عليه مقعده بالغداة والعشي، إنْ كان من أهل الجنة فمِنْ أهلِ الجنة، وإنْ كان مِنْ أهلِ النار فمِنْ أهلِ النار**»[2].

□ □ □

(١) سورة غافر: الآيتان ٤٥-٤٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

فصل
في البعث والنشور

يجب على كل مسلم، ذكرًا كان أو أنثى أن يؤمن بالبعث والنشور، والبعثُ والنشور: هو إخراجُ الموتى يوم القيامة من قبورهم الرجال والنساء، أحياءً بأرواحهم وأجسادهم التي كانتْ في الحياة الدنيا؛ لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم.

فالله عزَّ وجلَّ يخرجُ الموتى من قبورهم يوم القيامة، أحياءً بأرواحهم وأجسادهم التي كانتْ في الحياة الدنيا، ويحاسبُهُم ويجازيهم على أعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾[3]، والجدث: القبر.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[4]، أي: تخرجون.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[5]، أي: من قبورهم.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٥

(٣) سورة المعارج: الآية ٤٣.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٦.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٨.

وقال القحطاني رحمه الله:

والبَعْثُ بعد الموتِ وَعْدٌ صادقٌ بإعـــادةِ الأرواحِ فـي الأبــدانِ

وقال السفاريني رحمه الله:

واجــزِمْ بأمــرِ البعــثِ والنشــورِ
والحَشْرِ جَزْمًـا بعـدَ نفـخِ الصُّـورِ
كــذا وقـوفُ الخَلْـقِ للحسـابِ
والصُّحْـفِ والميــزانِ والثــوابِ
كذا الصراطُ ثم حوضُ المصطفى
فيــا هَنَـا لِمَنْ بــه نــال الشِّفَـا

وقد أنكر البعث الفلاسفة والمشركون وبعض الجهلة اليوم؛ قال اللهُ عز وجل: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾(٢).

وهذا والله من أعجب العجب أن يؤمنوا بالخلق، وهو أصعبُ، وأن ينكروا البعث، وهو أسهلُ؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٣)، فهم يؤمنون بالخلق؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(٤)، مع أنَّ الخلق أصعبُ، والبعث أسهل، والخلق أصعب؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان من

---

(١) سورة التغابن: الآية ٧.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٤٧.
(٣) سورة الرعد: الآية ٥.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٨٧.

لا شيء؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾(١)، فَقَبْلَ أن يتزوَّج أبو الإنسان بأمه لم يكن موجودًا ولا معروفًا في الأرض، فلمَّا تزوَّج أبوه بأمه، غشيها، فقذف ماءه في رحمها، فجلس أربعين يومًا ماءً كما وضعه أبوه، ثم يحوِّله الله بعد أربعين يومًا إلى قطعة دم صغيرة تسمَّى بالعَلَقة برحم المرأة، ثم تجلس أربعين يومًا على صورتها وشكلها، ثم يحولها الله إلى لحمة أكبر من الأولى تسمَّى بالمضغة، ثم تجلس أربعين يومًا على صورتها وشكلها، ثم يحوِّلها الله إلى عظام، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح، فيشقُّ سمعه وبصره، ويخرج يديه ورجليه وسائر أعضائه، ويصبح حيًا يتحرَّك في بطن أمه، وبعد خروجه من بطن أمه؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «حدَّثني رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوق: إنَّ أحدكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطن أمه أربعين يومًا نُطْفَةً، ثم يكونُ عَلَقَةً مثْلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يُرْسَلُ إليه المَلَكُ؛ فيؤمَرُ بأربعٍ: بِكَتْبِ رزْقه، وعَمَله، وأجله، وشقيٌّ أو سعيد»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٣). وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ

(١) سورة الإنسان: الآية ١.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ١٢-١٤.

مّن طينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾(١)، يعني: أبانا آدم خُلقَ من طين، أما ذريته فخلقت من ماء؛ قال تعالى: ﴿**الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ**﴾(٢).

والنطفة هي: ماء الرجل، والقرار المكين: هو رحم المرأة، فالذي خلق الإنسان من ماء ثم حوَّل الماء إلى لحمة، ثم حوَّل اللحمة إلى عظام، ثم كسا العظام لحمًا، ثم نفخ فيه الروح، وأصبح حيًا: هو الذي يعيد روح كل إنسان في جسده يوم القيامة، ثم يخرجه من قبره حيًا كما كان حيًا قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ**﴾(٦).

□ □ □

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٢.

(٢) سورة السجدة: الآيتان ٧-٨.

(٣) سورة مريم: الآيتان ٦٦-٦٧.

(٤) سورة الروم: آية ٢٧.

(٥) سورة البروج: الآية ١٣.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٦٢.

فصل
فيمن أحياهم الله في الدنيا

أولاً: إحياء الذين ماتوا بالصاعقة:

لمَّا قالوا لموسى عليه السلام: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[١]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

قال عروة بن رويم:

في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: صعق بعضهم وبعضهم ينظر، ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء.

وقال الربيع بن أنس:

كان موتهم عقوبة، فأحياهم الله بعد موتهم ليستوفوا آجالهم.

ثانيًا: إحياء قتيل بني إسرائيل:

الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٥.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٥٥-٥٦.

(٣) سورة البقرة: ٧٢-٧٣.

قال ابن جريج رحمه الله:

في قوله: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ قال: قال بعضهم: أنتم قتلتموه، وقال آخرون: أنتم قتلتموه؛ وبه قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال مجاهد رحمه الله:

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: ما تغيبون.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي: ببعض البقرة التي قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما ذبحوها، ضربوا القتيل ببعضها، فقام تشخبُ أوداجُهُ دمًا، فقالوا له: مَنْ قتلك؟ قال: قتلني فلان.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾[(٢)]؛ منبِّهًا لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد.

ثالثًا: إحياء من أماته الله مائة عام:

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٣)].

وقد اختلف المفسِّرون في هذا المارِّ: فقيل: إنه نبي الله عُزَيْرٌ؛

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

وبه قال علي بن أبي طالب، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، وسليمان بن بريدة؛ وهذا القول هو المشهور، **وقيل**: هو أرميا بن حلقيا؛ وبه قال وهب بن منبه، وقال: هو اسم الخضر، **وقيل**: إنه حزقيل بن بوار، **وقيل**: إنه رجل من بني إسرائيل.

والخلاصة: أن معرفة اسم المارِّ لا يترتَّب عليه كثير فائدة.

والمشهور: أن القرية الخاوية: بيتُ المقدس بعد تخريب بُخْتَنَصَّرَ لها، وقَتْلِ أهلها، وهدم جدرانها، وسقوط سقوفها . . .

فلما بعث الله المار بعد موته، أحيا الله أول شيء عينيه؛ لينظر بهما في قدرة الله على إحياء سائر بدنه، فلمَّا استقلَّ سويًا ووقف حيًا قال الله له: ﴿**كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾.

قال ذلك؛ لأنه مات أول النهار، فأحياه الله في آخره، فلما رأى الشمس، ظنَّ أنها شمس اليوم الذي مات فيه، فقال: ﴿**أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ أي: لم يتغير وقد جلس مائة عام، وقال الله له: ﴿**وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ**﴾ أي: كيف يحييه الله وأنت تنظر؟!.

وقال تعالى: ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ**﴾ أي: دليلاً على البعث.

﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا**﴾ أي: نحييها قاله مجاهد، وقال السدي وغيره: تفرَّقَتْ عظامُ حماره حوله.

وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا**﴾ يميناً وشمالاً، فنظر إليها وهي تلوح من بياضها، فبعث الله ريحًا فجمعتها من كلِّ موضع، ثم ركب كل عظم في موضعه، حتى صار حماراً قائمًا من عظام لا لحم عليها

ثم كساها لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا، فبعث الله ملكًا، فنفخ في منخري الحمار، فنهق بإذن الله، فقال الرجل: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لأنه رأى خَلْقَهُ وإعادته وخَلْقَ حماره وإعادته.

فهل بقي لمنكري البعث حجةٌ بعد هذا؟!

رابعًا: إحياء حمار الذي أماته الله مائة عام:

قال تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وقد تقدم تفسيرُهُ في الثالث من هذا الفصل.

خامسًا: إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وقوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قَطِّعْهُنَّ؛ وبه قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أَوْثِقْهُنَّ.

وقيل: إن إبراهيم عليه السلام أوثقهنَّ فذبحهنَّ وقطَّعهنَّ، ونتف ريشهنَّ، وفرَّقهنَّ وخلَطَ بعضهنَّ ببعض، ثم جزأهنَّ أجزاءً، وجعل

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

على كل جبل منهن جزءًا.

قال ابن عباس: وأخذ رؤوسهنَّ بيده، ثم أمره الله أن يدعوهنَّ، فدعاهن كما أمره الله عز وجل، فجعل ينظر إليها، الريشُ يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض، حتى قام كلُّ طائر على حِدَةٍ، وأتينَهُ يمشين سعيًا ليكون أبلغ في الرؤيا التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام، فإذا قدّم له غير رأسه يأباه، وإذا قدم له رأسه ركب مع بقية جسده بحول الله وقوته.

قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره سبحانه.

سادسًا: إحياء أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾[1]، بعد أن لبثوا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، قال تعالى: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾[2].

سابعًا: إحياء من أحياه الله على يد عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى عنه: ﴿**وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[1].

□ □ □

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

فصل: في الحشر

فإذا أحيا الله الناس يوم القيامة، قاموا عجلين ينظرون ماذا يراد بهم؛ قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[١]، فيقول الكفار: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[٢]؛ فيقال لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣]، ويقال لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، ويقال لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

ثم يؤمر بحشر الناس إلى موقف الجزاء والحساب، وهو الساهرة، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٤].

قال مجاهد - رحمه الله -: الساهرةُ: المكانُ المستوي، ويكونُ المحشر بأرض الشام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من شك أن المحشر بالشام، فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[٥] قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»؛ رواه البزّار، وفيه أبو سعد البقال،

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٢) سورة يس: الآية ٥٢.

(٣) سورة يس: الآية ٥٢.

(٤) سورة النازعات: الآيتان ١٣-١٤.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢.

والغالب عليه الضعف.

وقال وهب بن منبه لما قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ وهو يومئذ ببيت المقدس قال: «ها هنا الساهرةُ ببيت المقدس»؛ أخرجه مجاهد في تفسيره.

ومن الناس من يحشر راكبًا، ومنهم من يحشر ماشيًا، ومنهم من يحشر على وجهه إلى أرض المحشر بالشام؛ عن حكيم بن معاوية عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُونَ هاهنا، وأومأ بيده إلى أرضِ الشامِ مشاةً وركبانًا وعلى وجوهكم**»[1].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[2].

قال ابن عباس: ركبانًا، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[3]؛ قال: عطاشًا.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ الناس على ثلاث طرائقَ راغبين وراهبين؛ اثنان على بعير، وثلاثةٌ على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشرةٌ على بعير، وتُحْشَرُ بقيتهم؛ النارُ تَقيلُ معهم حيث قالوا. وتبيتُ معهم حيث باتوا، وتصبحُ معهم حيثُ أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[5].

---

(١) رواه النسائي وأحمد، وقال ابن حجر في الفتح: إسناده قوي.

(٢) سورة مريم: الآية ٨٥. (٣) سورة مريم: الآية ٨٦.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٩٧.

(٥) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب الحشر.

قال ابن حجر: قوله **(راغبين)** يحتمل أن يكون إشارة إلى الأبرار و **(الراهبين)** إشارة إلى المخلِّطين الذين هم بين الخوف والرجاء، و **(الذين تحشرهم النار)** هم الكفار، ويحتمل أن يكون ذلك وقت حشرهم إلى الجنة بعد الفراغ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشرُ الناس يوم القيامة على ثلاث أثلاث: ثلثٌ على الدواب، وثلثٌ يَنْسِلُونَ على أقدامهم، وثلثٌ على وجوههم**»(١).

وقال تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا**﴾، والكافرُ يحضر إلى موقف الحشر والحساب خاشع البصر؛ كما قال الله تعالى: ﴿**خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ**﴾، سريعًا في مشيه؛ كما قال تعالى: ﴿**مُهْطِعِينَ**﴾ يعني: مسرعين، رافعاً رأسه؛ كما قال تعالى: ﴿**مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ**﴾.

ويحشر الناس يوم القيامة حفاةً من غير حذاء، عراةً من غير لباس، غُرْلاً من غير ختان، الرجالُ والنساء على حد سواء، لا يلتفت بعضهم إلى بعض لشدة هول ذلك اليوم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشرُ الناسُ يوم القيامة حفاةً عراةً غُرْلاً**» قلت: يا رسول الله، النساءُ والرجال جميعًا يَنْظُرُ بعضهم إلى بعض، قال ﷺ: «**يا عائشةُ، الأمرُ أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير في الجامع، وأحمد في مسنده.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

غُـرْلاً حفَـاةً مثـلَ خَلْـق أول أعادَهُـمْ مُبْدِئُهُـمْ وَهْـوَ العلـي
ثـم يسـاقـون لنَحْـوِ المَحْشَـرِ خلفهـمُ النيـرانُ ذاتُ الشَّـرَرِ
ويوقَفُـونَ شـاخصـي الأبصـار منتظـري فَصْـل قضـا الجَبَّـار
فـي موقف يُلْجمهُـمْ فيـه العـرق ويَعْظُـمُ الهـولُ ويشتـدُّ الفَـرَقْ
قد ضُوعفَ الكَرْبُ على النفوسِ ودَنَـت الشمـسُ مـن الـرؤوسِ

فتقرُبُ الشمسُ من رؤوسهم قدر ميل، فتشخَصُ الأبصار، ويعرقُ الناس؛ فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق إلى حَقْوَيْه ومنهم من يبلغ إلى ترقوته ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً.

عن المقداد بن الأسود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تُدْنَى الشمسُ يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم قَدْرَ ميل**».

قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما عَنَى بالميل، مسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: «**فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العَرَقِ؛ فمنهم من يكون إلى كعبَيْه، ومنهم مَنْ يكون إلى رُكْبَتَيْه، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْهِ، ومنهم من يُلْجِمه إلجامًا**» قال: وأومأَ رسولُ الله إلى فيه[١].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

ويوقَفُـونَ شاخصي الأبصـار منتظـري فَصْـل قضـا الجَبَّـار
فـي موقف يُلْجمهـم فيـه العَـرَقْ ويَعْظُـمُ الهَـوْلُ ويشتـدُّ الفَـرَقْ
قد ضوعفَ الكَرْبُ على النفوسِ وَدَنَـت الشمسُ مـن الـرؤوسِ

ثم يقف الناس خمسين ألف سنة لا يَجْلِسون فيها، ولا يضطجعون

(١) رواه مسلم.

ولا يأكلون ولا يشربون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ صاحب إبلٍ ولا بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يؤدِّي منها زكاتها إلا إذا كان يومُ القيامة، بُطِحَ لها بقاعٍ قرقرٍ تنطحهُ بقرونها وتطؤهُ بخفافها كلَّما نفدت عليه أخراها عادت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يُرَى سبيله إمَّا إلى الجنة، وإما إلى النار»[1]، وهو اليوم الذي يقف فيه العباد.

وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ ذهب ولا فضة لا يؤدِّي منها زكاتَهَا إلا إذا كان يومُ القيامة، صُفِحَتْ له صفائح من نار؛ فَيُكْوَى بها جبينهُ وجنبه وظهره، كلَّما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقْضَى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[1].

❏ ❏ ❏

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فصل: في الشفاعة

فإذا وقَفَ الناس خمسين ألف سنة، رغبوا إلى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في الشفاعة لهم عند الله في المجيء لفصل القضاء بين العباد، وصرف أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، فكلَّما أتوا نبيًا من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في الشفاعة لهم، يقول: لستُ لها! لستُ لها! حتى إذا أتوا نبينا محمدًا ﷺ يقولُ: **أنا لها! أنا لها!**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة، ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم - عليه السلام - فإنه خليلُ الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بموسى - عليه السلام - فإنه كليمُ الله، فيؤتى فيقول: لستُ لها، ولكنْ عليكم بعيسى - عليه السلام - فإنه رُوحُ الله وكلمتُهُ، فيؤتى عيسى، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمَّد ﷺ فأُوتَى فأقول: أنا لها**»[1].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

وليس مِـنْ نبـي نـالهـا حتي يقولَ المصطفى أنا لها

فيسجدُ النبيُّ ﷺ تحت العرشِ سجدةً واحدة، لا يرفع فيها رأسَهُ حتى يأتيه الإذنُ بالشفاعة، فيقال: يا محمد، ارفَعْ رأسك، واشفَعْ تشفَّعْ، وسَلْ تعطه؛ كما جاء في حديث أنس بن مالك

(١) رواه البخاري ومسلم.

رضي الله عنه في الشفاعة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فأنطلقُ فأستأذنُ على ربِّي فيؤذنُ لي، فأقومُ بين يديْه، فأحمده بمحامدَ لا أَقْدرُ عليها الآنَ يُلْهِمُنيه الله، ثم أَخِرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفَعْ رأسك، وقُلْ يُسْمَعْ لك، وسَلْ تعطه، واشفَعْ تشفَّع»[1].

لأنَّ الشفاعة لا تقبل إلا بشرطين:

الأول: الإذن للشافع؛ قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[2].

الثاني: الرضا عن المشفوع له؛ قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[3].

واللهُ لا يرضى إلا عن أهل التوحيد؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، من أحق الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا اللهُ مخلصًا من قبله»[4]، وهذه الشفاعةُ هي الشفاعةُ الكبرى التي خُصَّ بها نبينًّا ﷺ عن سائر الأنبياء وغيرهم.

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

كــذا لـه الشفاعـةُ العظمى كَمَا ... قــد خصَّــه اللهُ بهـــا تكرُّمَـــا

مِــنْ بَعْـد إذْن الله لا كمـا يَـرَى ... كــلُّ قُبُوري علـى الله افتــرى

يَشْفَـعُ أوَّلاً إلـى الرحمــنِ فـي ... فَصْلِ القضاءِ بين أهلِ الموقف

وثانيـاً يَشْفَـعُ فــي استفتـــاحِ ... دار النعيـمِ لأولـى الفـــلاحِ

وبعـده يَشْفَـعُ كـــلُّ مُــرْسَـلِ ... وكُـلُّ عبـدٍ ذي صـلاحٍ وولـي

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

(٤) رواه البخاري.

فصل
في الحساب والجزاء

بعدها يجيء الله عزَّ وجلَّ لفصل القضاء بين عباده؛ قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(١)؛ فيجيء مجيئًا يليق بجلاله ليس كمجيء المخلوق؛ قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢).

وقال القحطاني رحمه الله:

والله يومئذ يجيء لعرضنا مَعَ أنَّه في كلِّ وقت داني
وعليه عَرْضُ الخَلْقِ يومَ معادهم للحُكْمِ كَيْ يتناصَفَ الخَصْمَانِ

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

ثمَّ تجلى اللهُ للقضاء بين عباده بلا امتراء
واقتصَّ للمظلوم ممَّنْ ظلمَهُ بحكمه العدلَ كما قد عَلِمَهْ
وجيء بالرُّسْلِ وبالأشهاد وامتازَ أَهلُ الجُرْمِ بالإبعادِ

فيجيء بالكتب التي كتبتْ فيها أعمالُ العباد، ويجيء بالرسل والشهداء، وتستشهدُ الجوارح حتي يقرَّ كلُّ عامل بعمله؛ قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٢.
(٢) سورة الشورى: الآية ١١.
(٣) سورة الزمر: الآيتان ٦٩-٧٠.

فيقرِّرُ الله عباده بأعمالهم عن طريق: الكُتُب التي سُجِّلَتْ فيها أعمالهم؛ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

وشهادة الشهود من الملائكة الرقيب والعتيد؛ قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢).

والكرام الكاتبين؛ قال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٣).

وشهادة الأعضاء، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٤).

وغيرها حتى يقرَّ كل عامل بعمله، ثم يعطي الله عزَّ وجلَّ كلَّ إنسان كتابه بنفسه ليقرأه، والذي لا يعرفُ القراءةَ يعلِّمه الله إياها؛ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٥).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

لكـلِّ عـاملٍ كتـابٌ يُنْشَـرُ ... فيـه جميـعُ سَعْيِـه مسطَّـرُ

يعطـاه باليميـنِ ذو الإيمـانِ ... ومنْ وراء الظهر ذو الكفران

فيقرأُ الإنسانُ كتابه؛ فيعرف جميع ما فيه، فيجد ذنوبه ومعاصيه، وغدراته وفجراته، فيخافُ من عذاب الله خوفًا شديدًا؛ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾(٦).

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٩.
(٢) سورة ق: الآية ١٨.
(٣) سورة الانفطار: الآيتان ١١-١٢.
(٤) سورة يس: الآية ٦٥
(٥) سورة الإسراء: الآيتان ١٣-١٤.
(٦) سورة الكهف: الآية ٤٩.

ثم بعد معرفة الإنسان لحسناته وسيئاته عن طريق الكُتُبِ التي سجَّلها عليه الكرامُ الكاتبون، والرقيبُ والعتيد من الملائكة الذي قال الله فيهم: ﴿كراماً كاتبين ﴿١١﴾ يعْلَمُونَ ما تفْعَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿ما يَلْفظُ من قوْلٍ إلاَّ لديْه رَقيبٌ عَتيدٌ﴾.

فإذا عرَفَ الإنسانُ أعمالَهُ عن طريق الكتب التي سُجِّلَتْ فيها أعماله، وشهادة الملائكة عليه: يبدأُ الجدل مع الله عز وجل وصدق الله حيث قال: ﴿وكَانَ الإنسانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[1]؛ فيقول: أيْ ربِّي، أنت العدلُ، وعدتَّني بأن لا تظلمني، فلا أقبَلُ اليومَ شاهداً إلا مِنْ نفسي، فيختمُ الله على فمه، فتشهد عليه جوارحه كلُّ جارحة بما عمل بها؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بمَا كَانُوا يكْسِبُونَ﴾[2]، العين تشهد بما رأت، والأذن بما سمعت، واليدُ بما بطشت، والرِّجْلُ بما خطت، واللسانُ بما تكلَّم، والجلدُ بما لَمَسَ، والفرج بما اقترف؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3].

فإذا عرَفَ أعماله عن طريق شهادة جوارحه عليه تحول إلى الجدل مع جوارحه، فيقول كما قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾؛ فيعتذر إليه جلدُهُ بأن الله هو الذي أنطقه، وأنه

(١) سورة الكهف: الآية ٥٤.

(٢) سورة يس: الآية ٦٥.

(٣) سورة فصلت: الآيتان ٢٠-٢١.

لم يشهد وحده، بل شهدت معه جميع الأعضاء؛ فيقول كما قال الله عنه: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بعدها يقول الإنسان لجوارحه وأعضائه: بعدًا لكنَّ وسحقًا؛ عنكنَّ كنت أناضل.

والإنسان يستطيع أن يستتر بمعصيته عن كل مخلوق إلا عن أعضائه لا يمكنه الاستتار عنها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

فإذا خلا الإنسان بمعصيته عن المخلوقين فأغلق الأبواب، ووضع الحجاب، وأرخى الأستار، وأطفأ الأنوار، رآه اللطيفُ الخبير العزيز الجبار؛ قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾(٤).

وقال القحطاني رحمه الله:

وإذا خَلَوْتَ بريبَةٍ في ظُلْمةٍ	والنفسُ داعيةٌ إلى الطُّغْيانِ
فاستَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإله وقُلْ لها	إنَّ الذي خلَقَ الظلامَ يراني

(١) سورة فصلت: الآتيان ٢٢-٢٣.
(٢) سورة الملك: الآية ١٤.
(٣) سورة العلق: الآية ١٤.
(٤) سورة البلد: ٧.

فصل
في الميزان، واستلام الكتب

فإذا قرّر العباد بأعمالهم عن طريق الكتب وشهادة الشهود من الملائكة والجوارح، نصب الله عزَّ وجل الميزان، ووزن به أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

والوَزْنُ بالقسْط فلا ظُلْمَ ولا ... يؤخذُ عَبْدٌ بسوى ما عملا
فَبَيْنَ نَاجٍ راجحٍ ميزانُهُ ... ومُقْرِف أوبقَهُ عُدْوانُهُ
ويوضعُ الميزانُ هذا يثْقُلُ ... وذا خفيفُ الوَزْنِ وهو المُبْطِلُ

فمَنْ رجَحَتْ حسناته على سيئاته، أخذ كتابه بيمينه، وقال كما قال الله تعالى عنه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[1].

فإذا أخذ كتابه بيمينه، فرح فرحًا شديدًا؛ لأنه نجَحَ فيه؛ فهو (ناجحٌ في التوحيد، ناجحٌ في الإيمان، ناجحٌ في الصلاة، ناجحٌ في الزكاة، ناجحٌ في الصيام، ناجحٌ في الحج، ناجحٌ في السمع؛ لأنه لم يسمعْ به إلا ما أحَلَّ الله، ناجحٌ في النظر؛ لأنه لم ينظر

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٢) سورة الحاقة: الآيتان ١٩-٢٠.

به إلا إلى ما أحل الله، ناجحٌ في اللسان؛ لأنه لم يتكلَّم به إلا فيما أحلَّ الله، ناجحٌ في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ). بعدها ينادي منادٍ يسمعه كلٌّ من في المحشر باسم ذلك الإنسان واسم أبيه اللذين كان يعرف بهما في الدنيا، رجلاً كان أو امرأة، فيقال: لقد سعد فلانُ بن فلان سعادةً لا يشقَى بعدها أبداً، وإنْ كانت امرأةً يقال: لقد سعدتْ فلانةُ بنتُ فلانٍ سعادةً لا تشقى بعدها أبدا.

❑ ❑ ❑

فصل
في حوض النبي صلى الله عليه وسلم

ثم ينصرفُ إلى حوض النبي ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ والذي قال فيه النبي ﷺ: «إنَّ عَرْضَهُ شهرٌ، وطوله شهرٌ، أوانيه كعدد نجوم السماء، ماؤُه أبيضُ من اللبن، وأحلَى من العسل؛ مَنْ شرب منه شَرْبَةً لا يظمأُ بعدها أبدًا».

والذي قال فيه حافظ الحكمي رحمه الله:

وحوضُ خَيرِ الخلقِ حَقٌّ وبِهِ ... يَشْرَبُ في الأخرَى جميعُ حِزْبِهِ

وقال السفاريني رحمه الله:

كذا الصراطُ ثم حوضُ المصطفى ... فيا هنَا لِمَنْ بِهِ نالَ الشِّفَا

عنه يُذَادُ المفتري كما وَرَدْ ... ومَنْ نحا سُبُلَ الرشادِ لم يَرِدْ

وقال القحطاني رحمه الله:

وصراطُنَا حَقٌّ وحوضُ نبيِّنا ... صدْقٌ له عَدَدُ النجوم أواني

يُسْقَى به السُّنِّيُّ أعذَبَ شَرْبةٍ ... ويُذادُ عنه مخالفٌ فتّانِ

❑ ❑ ❑

فصل
في الظلمة التي تكون على الجسر

فإذا وصَلَ الظلمة التي على الجسْرِ، أضاء له إيمانُهُ، فمشى في تلك الظلمة؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[١].

ونورُ كلِّ مؤمن على قَدْرِ عمله، ثم يمرُّ على الجسر بِقَدْرِ عمله إلى الجنة؛ لأن الجنة بعد النار والنار قبلها، وليس للجنة طريق إلا عن طريق الجسْرِ الذي نصب على وسط النار، أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف، وأروَغُ من الثعلب، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُعْطَوْنَ نورهم على قدر أعمالهم؛ فمنهم مَنْ يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرةً، وينطفئ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه، وإذا انطفأ قام، قال: فيمرون على الصراط كحدِّ السيف دحض مَزَلَّة، فيقال لهم: امضوا على قَدْرِ نوركم، فمنهم من يَمُرُّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطَّرْف، ومنهم من يمرُّ كشدِّ الرحلِ يرمُلُ رملاً؛ فيمرون على قدر أعمالهم.**

حتى يَمُرَّ الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد، وتخرُّ رجل، وتعلَّق رجل، وتصيبُ جوانبه النار، قال: فيخلُصُونَ، فإذا خلصوا، قالوا: الحمد لله الذي نجَّانا منكِ بعد إذ رأيناكِ؛ لقد أعطانا الله ما لم يُعْطِ أحدًا»[٢].

(١) سورة الحديد: الآية ١٢.

(٢) رواه الحاكم والبيهقي مطولاً.

يُؤْذَنُ بالرفع لهم ثُمَّ يُمَدّ جسْرٌ على النارِ منَ السيف أَحَدّ
ويُقْسَمُ النورُ بقدر العَمَل يُتِمُّهُ اللهُ لمَنْ لهُ وَلي
وينطفي نورُ المنافقينَا فيقفوا إذْ ذاك حائرينَا
لأنهم بالوحي ما استضاؤوا بل كذَّبوا فذا لهم جزاءُ
ثم ينجِّي اللهُ كلَّ متقي وكُبَّ في نارِ الجحيم مَنْ شَقي

يمرُّ عليه المؤمنُ والكافر، فينجي الله المؤمنَ، ويهلك الكافر والعاصي؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

ويُنْصَبُ الجسرُ بلا امتراء كما أَتَى في محكم الأنباء
يَجُوزُهُ الناسُ على أحوالِ بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ من الأعمالِ

وقال ابن القيم رحمه الله:

ويُنْصَبُ ذاك الجِسْرُ مِنْ فوق متنها
فهاوٍ ومخدوشٌ وناجٍ مسلَّمُ

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمعُ الله تبارك وتعالى الناسَ ترسلُ الأمانةُ والرحمُ فتقومان على جَنَبَتَي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمرُّ أوَّلكم كالبرق، ثم كمَرِّ الريح، ثم كَمَرِّ الطير وشدِّ الرَّحْل، تجري بهم أعمالهم، ونبيُّكم قائمٌ على الصراط، يقولُ: ربِّي سلِّم سلِّم، حتى تعجزَ أعمالُ العباد حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيعُ السيرَ إلا زحفًا وفي حافَتَي الصراط كلاليبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخذِ مَنْ أُمِرَتْ به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ في النار»[2].

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٧١-٧٢.
(٢) رواه مسلم.

فإذا اجتاز المؤمنُ الصراط، دخَلَ الجنة، فيجعلُ الله طوله ستِّين ذراعًا وعرضه سبعة أذرع، ولونه أبيض، وعينيه مكحَّلة، وشعره مجعَّدًا، ويجعل له لباسًا وكراسيَّ وفُرُشًا، ووسائدَ وخيامًا وغرفًا، وطعامًا وشرابًا وزوجات وخدمًا، ويحرِّم عليه الموتَ فلا يموت، والمرضَ فلا يمرض، والهرَمَ فلا يَهْرَم، والحزن فلا يحزن، ويحرِّمُ عليه البول والغائط والنوم وكلَّ أذى وقذى، وسيأتي تفصيلُ ذلك بالأدلَّة في فصل الجنة، بإذن الله.

أما الآخر: نسأل الله العافية، الذي ترجح سيئاته على حسناته، فيأخُذُ كتابه بشماله، ويقول كما قال الله عنه: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[١].

يقول: ﴿**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**﴾ لا يريد الكتاب؛ لأنه راسبٌ في التوحيد، راسبٌ في الإيمان، راسبٌ في الصلاة، راسبٌ في الزكاة، راسبٌ في الصوم، راسبٌ في الحج، راسبٌ في السمع؛ لأنه سمع به ما حرَّم الله من الغيبة والنميمة والكذب، والسَّبِّ والشتم والغناء، راسبٌ في النظر؛ لأنه نظَرَ به فيما حرَّم الله من النساء، سواءٌ في الطرقات أو الأسواق أو الشاشات أو غيرها، راسبٌ في اللسان؛ لأنه تكلَّم به فيما حرَّم الله عز وجل مِنَ الغيبة والنميمة والسبِّ والشتم والكذب والغناء وغير ذلك).

فلا يريد الكتاب ولا معرفة النتيجة لرسوبه؛ يقول: ﴿**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**﴾[٢]،

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٢٥-٢٩. (٢) سورة الحاقة: الآية ٢٥-٢٧.

ثم يتحسَّر على ماله وسلطانه اللذين طالما شغلاه عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ فيقول: ﴿**مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ** ﴿٢٨﴾ **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾(١). بعدها ينادي منادٍ يسمعه كلُّ مَنْ في المحشر باسم هذا الإنسان واسم أبيه، اللذَيْن كان يعرفُ بهما في الدنيا، رجلاً كان أو امرأةً، فيقول: لقد شقي فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، فيصرف عن حوض النبيِّ ﷺ.

ثم يمشي في الظلمة بدون نور؛ قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ...﴾(٢).

ثم يجثو في النار، قال تعالى: ﴿**وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾(٣).

ثم يجعلُ ضرسه مثل جَبَل أُحُد، ومقعده في النار مثل ما بين مكة والأحساء، ثم يسجنُ في النار؛ فراشُهُ من نار، ولحافُهُ من نار، ولباسُهُ من نار، وطعامُهُ من نار، وشرابُهُ من نار، كلَّما أكلته النار، خلقه الله من جديد لتأكله النار؛ قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾(٤)، وهذه حياتهم أَبَدَ الآباد، قال تعالى: ﴿**لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ**﴾(٥).

ألا ما لنَفْسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي عناها ولا تحيا حياةً لهـا طَعْمُ

وسيأتي تفصيلُ هذا بالأدلَّة في فصل النار، نعوذُ بالله منها.

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان ٢٨-٢٩.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٣.

(٣) سورة مريم: الآية ٧٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٦.

(٥) سورة الأعلى: الآية ١٣.

فصل
الجنة ونعيمها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾(١).

إن المتقين لله في الدنيا بفعل أوامره؛ كالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك نواهيه؛ كالشرك، والظلم، والخمر، والزنا، وسماع الأغاني الماجنة، وقراءة المجلَّة الخليعة، والغيبة والنميمة، وغير ذلك: إنَّهم في مقام أمين في الآخرة، وهو الجنة، لأن أهل الجنة قد أمنوا فيها من الموت والمرض، والهم والحزن، وغير ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَة مِن فَضْلِه لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾(٢).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

هي الدارُ دارُ الهَمِّ والغمِّ والعنا
سريعٌ تقضِّيها قريبٌ زوالُهَا

مَيَاسِرُهَا عُسْرٌ وحُزْنٌ سرورُهَا
وأرباحُهَا خُسْرٌ ونقصٌ كمالُهَا

إذا أضحكَتْ أبكَتْ وإنْ رام وصلها
غَبِيٌّ فيا سُرْعَ انقطاع وصالِهَا

(١) سورة الدخان: الآية ٥١.

(٢) سورة فاطر: الآيتان ٣٤-٣٥.

فإن رام وصلها غبيٌّ: فبنى الدور، وشيد القصور، وتزوَّج الودود الولود، وركن إلى دار الخلود، أتاه منادي الجدود، فخلَّف كل شيء بعده، وخرج لوعده، وإن رام وصلها غبيٌّ، فيا سرع انقطاع وصالها؛ فلغيره اللذة والبهجة، وعليه الحسرة والتبعة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله:

أن من تعلَّق بدار الفناء، أَسَرَتْهَ عن دار البقاء، قال رحمه الله:

وإنْ تكُ قد عاقَتْكَ سُعْدَى فقلْبُكَ الْـ
معنَّى رهينٌ في يديها مسلَّمُ
وقد ساعدَتْ بالوصلِ غيرَكَ فالهوى
لها منكَ والواشي بها يتنعَّمُ

وهكذا تكونُ المفارقة!! فمنك الهوى والتقرُّب، وللواشي التنعُّم والتلذذ؛ فأي غبن هذا؟! وقد استعار ابن القيِّم - رحمه الله - عدة كلمات من قاموس العشاق؛ مثل: الهوى، والوصال، والواشي الذي لا تخلو قصصُ العشاق منه؛ ليزداد الألم والعذاب وتشتد الحسرة والعتاب:

فكلمة «**المعنَّى**» توحي بما يقاسيه القلبُ من العناء والعذاب، وكلمة «**رهين**» توحي بقسوة الأسْرِ ومرارة الوقوع، وقلة الحيلة، وكلمةُ «**مسلَّم**» توحي بالانهزام والاستسلام.

ثم نقل ابن القيم - رحمه الله - هذا الأسير في الدنيا إلى ما يجبُ أن يعامل به سُعْدَى التي طالما تقرَّب إليها بالهوى، وتباعدَتْ عنه بالجوى، وتجسَّم في الوصول إليها الجحيم، فأعطَتْ غيره

النعيم، قال:

فدعها وسَلِّ النفسَ عنها بجَنَّة
مِنَ العلمِ في روضاتها الحق يبسم

ولأهل الجنة فيها بساتين وأنهار:

قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾(٢).

مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسن، أي: لم يتغيَّر بمكثه كماء الدنيا، وأنهارٌ من لبن لم يتغيَّرْ طعمه بحموضةٍ ولا غيرها كلبن الدنيا، وأنهارٌ من خمر لذةٍ للشاربين ليس فيها صداعٌ ولا سُكْرٌ ولا إثمٌ ولا رائحةٌ كريهة كخمرة الدنيا.

قال تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾(٣)؛ ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا يصيبهم صداعٌ في رؤوسهم بشربها كخمرة الدنيا، ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا تسكرُهُمْ ولا تذهبُ بعقولهم كخمرة الدنيا.

وقال ابن القيم رحمه الله:

أنهارها في غير أخدود جَرَتْ ... سبحانَ مُمْسكهَا عن الفَيَضَانِ
مِنْ تحتهم تجري كما شاءوا مُفَجَّـ ... ـرةً وما للنَّهْرِ من نقصانِ
عسلٌ مصفًى ثم ماءٌ ثم خَمْـ ... ـرٌ ثم أنهارٌ من الألبانِ

(١) سورة الدخان: الآية ٥٢.
(٢) سورة محمد: الآية ١٥.
(٣) سورة الواقعة: الآية ١٩.

قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾.

ويلبس أهلُ الجنة فيها السندسَ، وهو ما غَلُظَ من الحرير، والإستبرقَ، وهو ما رَقَّ من الحرير.

قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[2].

وقال ابن القيم رحمه الله:

ولباسُهُمْ مِنْ سندس خضر ومِنْ ... إستبرق نوعان معروفانِ

ما ذاك مِنْ دُود بَنَى مِنْ فوقه ... تلك البيوتَ وعاد ذا طيرانِ

كلاَّ ولا نُسجَتْ على المنوال نَسْـ ... ـج ثيابنا بالقُطْنِ والكتَّانِ

لكنَّها حُلَلٌ تشقُّ ثمارها ... عنها رأيتَ شقائقَ النعمانِ

بيضٌ وخُضْرٌ ثم صُفْرٌ ثم حُمْـ ... ـرٌ كالرِّباط بأحسنِ الألوانِ

لا تقربُ الدَّنَسَ المقرِّبَ للبلَى ... ما للبلى فيهنَّ مِن سلطانِ

ونَصِيفُ إحداهنَّ وَهْوَ خمارها ... ليستْ له الدنيا من الأثمانِ

ويلبسون فيها الحرير؛ قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[3].

ومن لبس الحرير في الدنيا من الرجال لم يلبسه في الآخرة إذا مات من غير توبة؛ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لبس الحريرَ في الدنيا، لم يَلْبَسْهُ في الآخرة»[4].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣١.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٢١.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٣.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

ويلبسون الذهب واللؤلؤ والفضة؛ قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾[٢].

ويلبسها الرجال والنساء على حدٍّ سواءٍ يلبسونها في أكفِّهم ومعاصمهم؛ عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ خليلي ﷺ يقول: «تَبْلُغُ الحِلْيَةُ من المؤمن حيثُ يَبْلُغُ الوضوء»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله:

والحَلْيُ أصفَى لؤلؤ وزبرجد	وكذاك أسورةٌ من العقْيانِ
ما ذاك يختصُّ الإناثَ وإنماً	هو للإناث كذاك للذكران
التاركين لباسَهُ في هذه الدُّ	نيا لأَجْلِ لباسه بجنَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ حليتهم إلى	حيثُ انتهاءُ وضوئِهِمْ بوزانِ

ولهم فيها سرر:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[٤].

ولهم فيها فرش:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[٥].

قال سفيان - رحمه الله -: إذا كان باطنها مما يلي الأرض من إستبرق، فكيف بظاهرها مما يلي جَنْبَ الإنسان.

وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[٦].

(١) سورة فاطر: الآية ٣٣.
(٢) سورة الإنسان: الآية ٢١.
(٣) رواه مسلم.
(٤) سورة الواقعة: الآية ١٦.
(٥) سورة الرحمن: الآية ٥٤.
(٦) سورة الواقعة: الآية ٣٤.

وقال ابن القيم رحمه الله:

والفُرْشُ من إستبرق قد بُطِّنَتْ ما ظَنُّكُمْ بظهارة لبِطَانِ
مرفوعةٌ فوقَ الأَسِرَّة يتكي هو والحبيبُ بخَلْوة وأمانِ
يتحدَّثان على الأرائكِ ما ترَى حِبَّيْنِ في الخَلَوَاتِ ينتجيانِ

ولهم فيها وسائد بعضها بجانب بعض:

قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾(١).

قال الواحدي: النمارق المصفوفةُ: هي الوسائد بعضها بجانب بعض.

ولهم فيها بسط مبثوثة ومنثورة:

قال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(٢).

والزرابي المبثوثة: هي البسط المنثورة.

وقال ابن القيم رحمه الله:

هذا وكم زُرْبِيَّة ونَمَارِقٍ ووسائدٍ صُفَّتْ بلا حُسْبانِ

ولهم فيها خيام:

الخيمةُ الواحدة: من لؤلؤة مجوَّفة طولها ستَّونَ ميلاً، والميلُ: ستةُ آلافِ ذراع؛ للمؤمن فيها أهلون، أي: زوجاتٌ يطوفُ عليهم المؤمن؛ فلا يرى بعضهم بعضًا.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ للمؤمنِ في الجنة لَخَيمْةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوَّفة طولُهَا ستُّونَ ميلاً؛**

(١) سورة الغاشية: الآية ١٥.
(٢) سورة الغاشية: الآية ١٦.

للمؤمن فيها أهلون يَطُوفُ عليهم المؤمنُ؛ فلا يرى بعضُهُمْ بعضًا»(١).

قال ابن القيم رحمه الله:

للعبد فيها خيمةٌ من لؤلؤ ... قد جُوِّفَتْ هي صنعةُ الرحمنِ
ستُّونَ ميلاً طولُهَا في الجوفي ... كُلِّ الزوايا أجمَلُ النسوانِ
يغشى الجميعَ فلا يشاهدُ بعضهم ... بعضاً وهذا لاتساع مكانِ
فيها مقاصيرٌ بها الأبوابُ من ... ذهب وَدُرٍّ زِيــنَ بالمَرْجانِ
وخيامها منصوبةٌ برياضها ... وشواطئ الأنهار بالجَرَيَانِ
ما في الخيام سوى التي لو قابلت ... للنيِّران لَقُلْتَ منكسفانِ
لله هاتيك الخيامُ فكم بها ... لِلْقَلْبِ مِنْ علق ومنْ أشجانِ
فيهنَّ حُورٌ قاصراتُ الطَّرْف خيـ ... رات حسانٌ هنَّ خَيْرُ حسانِ
خَيْرَاتُ أخلاق حسانٌ أوجُهاً ... فالحسن والإحسانُ متفقانِ

ولهم فيها سوق يأتونها كل جمعة:

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة سوقًا يأتونها كلَّ جمعة؛ فتهبُّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتُّمْ حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتُّمْ حسنًا وجمالاً»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله:

يأتون سوقًا لا يُبَاعُ ويشتَرى ... فيه فَخُذْ منه بلا أثمانِ
قد أسلَفَ التجارُ أثمان المبيـ ... ع بعقدهم في بيعةِ الرضوانِ
لله سوقٌ قد أقامَتْهُ الملا ... ئِكَةُ الكرامُ بكلِّ ما إحسانِ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

فيها الذي والله لا عَيْنٌ رأَتْ كلا ولم تَسْمَعْ به أُذْنَانِ
كلاولم يَخْطُرْ على قلب امرئٍ فيكونَ عنه معبِّرًا بلسانِ

ولهم فيها غرف:

قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمنُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أهل الجنة ليتراءون الغُرَفَ من فوقهم كما تَرَاءَوْنَ الكوكب الدريَّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يَبْلُغُهَا غيرهم، قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجالٌ آمَنُوا بالله وصَدَّقُوا المرسلين»[٣].

وقال تعالى: ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ لئلا يظنَّ أحدٌ أن ذلك خيالٌ لا حقيقة له، وبناؤها طوبة من ذهب، وطوبة من فضة، وطينها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران؛ من يدخلها ينعم ولا ييأَس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، حدِّثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنةٌ من ذهب، ولبنةٌ من فضة، وملاطها المسْك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»[١].

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٧. (٢) سورة الزمر: الآية ٢٠.
(٣) رواه أحمد والبيهقي.

قال الشاعر:

اعملْ لـدارٍ غـدًا رضوانُ خازنُهَا
والجـارُ أحمَـدُ والرحمنُ بانيهـا
أرضٌ لها ذهَبٌ والطينُ مسْكَتُهَا
والزعفـرانُ حشيشٌ نابـتٌ فيهـا
أنهارُهَا لبـنٌ مَحْضٌ ومن عَسَـلٍ
والخمرُ يجري رحيقًا في مجاريها
مَنْ يشتري قُبَّةً في العدن غاليةً
في ظـلِّ طُوبَـى رفيعاتٍ مبانيهـا
دَلاَّلُهَـا المصطفَـى واللهُ بائعُهَـا
وجبرئـيلُ ينادي فـي نواحيـها
مَنْ يشترِي الدارَ في الفردوسِ يَعْمُرُهَا
بركعة في ظلامِ الليلِ يُخْفِيهَا
أو سَدَّ جَوْعَـةَ مسكينٍ بِشِبْعَتِـهِ
في يومِ مسغبةٍ عَـمَّ الغلا فيهـا
النفسُ تَطْمَعُ في الدنيا وقد علَمَتْ
أنَّ السلامةَ فيها تَـرْكُ ما فيهـا
لا دَارَ للمرءِ بعد الموتِ يَسْكُنُهَا
إلا التي كان قَبْلَ الموت يبنيها
فـإنْ بناهـا بخيرٍ طـاب مسكنُـهُ
وإنْ بناهـا بِشَـرٍّ خـابَ بانيـها
أموالُنَا لذوي الميراثِ نَجْمَعُها
ودُورُنَا لخرابِ المـوتِ نبنيهـا

أعمارهم ثلاثٌ وثلاثون سنة، وطولهم ستون ذراعاً، وعرضهم سبعة أذرع، جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة جُرْدًا مُرْدًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على طول آدَمَ ستُّون ذراعًا في عَرْضِ سبعة أذرع**»[1].

قال ابن القيم رحمه الله:

هـــذا وسِنُّهُمُ ثـــلاثٌ مَعْ ثـــلا	ثينَ التـي هـــي قُــوَّةُ الشَّبَّـــانِ
والطُّولُ طُـولُ أبيهمُ ستُّـونَ لا	كِـنْ عَرْضُهُمْ سبعٌ بلا نقصـــانِ
ألوانُهُمْ بيضٌ وليس لهم لِحًـــى	جَعْدُ الشعورِ مكحلو الأجفـانِ
هذا كمالُ الحُسْنِ في أبشارِهِمْ	وشُعُـورُهُـمْ وكـذلك العينـــانِ

ولأهل الجنة فيها زوجات:

قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**﴾[2].

﴿**كَذَلِكَ**﴾ إشارةٌ إلى النعيم المتقدِّم.

﴿**وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**﴾ أي: زدناهم بأنْ زوجناهم بحور عين، **والحوراء**: هي المرأة البيضاء، والعيناء: هي المرأةُ واسعة العين، شديدة بياضها، شديدة سوادها، فيهن من الحسن والجمال ما لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾[2]، وورد في الأثر: «خيرات الأخلاق، حسانُ الوجوه».

---

(١) رواه أحمد.

(٢) سورة الدخان: الآية ٥٤.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٧٠.

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[١].

كأنهن في الحسن والجمال والرِّقَّة: الغشاوة التي تأتي على ظهر البيض مما يلي القشر إذا سلق وكسر، سواءٌ كنَّ من الحور العين أو من النساء المؤمنات اللواتي دخلن الجنة.

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٢].

كأنهنَّ في الحسن والجمال والبهاء والصفاء: الياقوت والمرجانُ، سواء كانت حوريةً أو مؤمنةً دخلَتِ الجنة.

قال ابن القيم رحمه الله:

الرِّيحُ مِسْكٌ والجسومُ نواعمٌ ... واللَّوْنُ كاليوقوتِ والمَرْجَانِ

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ **«ينظُرُ إلى وجهه في خدِّها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيءُ ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون حُلَّةً ينفذها بصرُهُ حتى يرى مُخَّ ساقها من وراء ذلك»**[٣].

قال ابن القيم رحمه الله:

وكلاهما مِـرْآةُ صاحبِـه إذا ... ما شاء يُبْصِـرُ وجهَـهُ يريـانِ

فيرى محاسنَ وجهِهِ في وجهها ... وتَـرَى محاسنَهَـا بـه بعيَـانِ

سبعون مِنْ حُلَلٍ عليها لا تَعُـو ... قُ الطرف عن مُخٍ ورا السِّيقَانِ

لكـنْ يـراه مِـنْ ورا ذا كـلِّه ... مِثْلَ الشرابِ لدى زجاجِ أواني

---

(١) سورة الصافات: الآية ٤٩.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٥٨.

(٣) رواه أحمد

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أوَّل زُمْرة يدخلون الجَنَّةَ على صورة القَمَرِ ليلةَ البدر، والتي تليها على أضواء كَوْكَبٍ دُرِّيٍ في السماء، ولكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يَرَى مخَّ سوقَيْهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»**[1].

والمرأة في الجنة - سواء من الحور العين أو من نساء الدنيا اللواتي دخلن الجنة - لو اطلعَتْ إلى الأرض لأضاءَتْ ما بين السماء والأرض، ولملأَتْ ما بين السماء والأرض ريحًا طيبًا، ولنصيفُهَا على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها.

عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو اطلَعَت امرأةٌ من نساء أهل الجنة إلى الأرض، لأضاءَتْ ما بينها، ولملأتْ ما بينهما ريحًا طيبًا، ولَنَصيفُهَا على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»**[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

ونَصيفُ إحداهنَّ وَهْوَ خمارها ليستْ لـه الدنيـا من الأثمـان

والمرأة في الجنة - من الحور العين أو من نساء الدنيا اللواتي دخلن الجنة - قد طُهِّرَتْ من الحيض والنفاس، والبول والغائط والبصاق، وكل أذى وقذى، قال تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾[3].

قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود ﵄: **«قد طُهِّرْنَ من الحيضِ والبصاقِ وغير ذلك»**.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥.

قال ابن القيم رحمه الله :

لا الحيضُ يغشاها ولا بَولٌ ولا شيءٌ من الآفاتِ في النِّسْوَانِ

تكلم الحورية زوجها بكلام السحر:

وحديثُهَا السِّحْرُ الحَلاَلُ لَوَ أنَّـهُ لم يَجْنِ قتلَ المُسْلِمِ المتحرِّزِ

إنْ طال لم يُمْلَلْ وإنْ هي حدَّثَتْ وَدَّ المحدَّثُ أنها لـم تُوجِـزِ

قال ابن القيم رحمه الله :

وكلامُهَا يَسْبِي العقولَ بنَغْمَة زادَتْ على الأوتارِ والعيدان

وتتغنَّى الحور العين في الجَّنة بغناء فَيَقُلْنَ: نحنُ الخالداتُ فلا نموت، ونحنُ الناعماتُ فلا نبأس، طُوبَى لِمَنْ كنا له وكان لنا.

ومَنْ سمع الغناء في الدنيا، ومات مِنْ غير توبة، صَبَّ الله في أذنيه الرصاصَ المذابَ يوم القيامة، وحُرِمَ من سماع الغناء في الجنة.

قال ابن القيم رحمه الله :

قال ابنُ عبَّاسٍ ويُرْسِلُ ربُّنا
ريحًا تَهُزُّ ذوائبَ الأغصانِ
فتثيرُ أصواتًا تَلَذُّ لِمَسْمَعِ الْـ
إنْسَانِ كالنَّغَمَاتِ بالأوزانِ
يا لَذَّةَ الأسماعِ لا تتعوَّضي
بلذاذة الأوتارِ والعيدَانِ
أَوَ ما سَمِعْتَ سماعهم فيها غنا
ءُ الحورِ بالأصوات والألحانِ

ما ظَنُّ سامعه بصوتٍ أطيبِ الْـ
أصواتِ مِنْ حورِ الجنَانِ حِسَانِ
لسنا نموتُ ولا نخافُ وما لنا
سُخْطٌ ولا ضِغْنٌ من الأضغانِ
طوبَى لِمَنْ كنَّا له وكذاك طو
بى للذي هو حظُّنا لفظانِ
نَزِّهْ سماعَكَ إنْ أردْتَ سماعَ ذَيْـ
كَ الغنا عن هذه الألحانِ
لا تُؤْثِر الداني على العالي فَتُحْـ
رَمَ ذا وذا يا ذلَّةَ الحِرْمانِ

فيا أيها الراغبون في نسَاءِ الدنيا ومعاكستِهِنَّ ومغازَلتهِنَّ، قفوا على باب ﴿وإن كنا لخاطئين﴾؛ لتسمعوا قول الله: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله:

يا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المعذَّبِ في الأُلَى
جُرِّدْنَ عن حُسْنٍ وعن إحسانِ
لا تسبينَّك صورةٌ من تحتها الدَّ
اء الدَّوِيُّ تَبُوءُ بالحرمانِ
قَبُحَتْ خلائقُهَا وقُبِّحَ فعلها
شيطانةٌ في صورةِ الإنسانِ

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.

تنقـادُ للأنذالِ والأرذالُ هُمْ
أَكْفَاؤُهَا من دون ذي الإحسان
وجمالهـا زُورٌ ومصنـوعٌ فإنْ
تركَتْهُ لم تطمَحْ لها العينانِ
طُبِعَتْ على تَرْكِ الحفاظِ فما لها
بوفاءِ حَقِّ البَعْـلِ قـطُّ يـدان

فمن كان راغبًا في نساء الجنة، فعليه أن يقدِّم مهورَهُنَّ اليومَ وهي ميسورةٌ يستطيع تقديمَهَا الغنيُّ والفقير، والكبير والصغير.

قال ابن القيم رحمه الله:

يا خاطبَ الحسناءِ إن كنت راغباً
فهذا زمانُ المَهْرِ فَهْوَ المقدَّمُ
وكُنْ مُبْغِضًا للخائناتِ لحبِّها
لِتَحْظَى بها مِـنْ دونِهِنَّ وَتَنْعَـمُ

وقال رحمه الله في النونية:

يـا خاطبَ الحُـورِ الحسانِ وطالبًـا
لوصالهـــنَّ بجَنَّـــةِ الحَيَـــوانِ
لو كنتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ ومَنْ طَلَبْـ
ـتَ بَذَلْتَ مـا تَحْوي من الأثمـانِ
أوْ كُنْتَ تدري أينَ مَسْكَنُهَا جعَلْـ
ـتَ السَّعْيَ منك لها على الأجفانِ

(١) سورة الدخان: الآية ٥٥.

ولأهل الجنة في الجنة طعام وشراب:

قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾[١]: آمنين من الموت والمرض، والهم والحزن، وانقطاعها.

وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾[٢]: لا تقطع في زمن من الأزمان، ولا يمنع آكلها من أكلها لطلب ثمن من الأثمان.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[٤]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «متشابهًا في اللون، مختلفًا في الطعم».

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٦].

قال ابن القيم رحمه الله:

وطعامُهُمْ مـــا تشتهيه نفوسُهُمْ
ولحـومُ طَيْــرٍ ناعـمٍ وسِمَانِ
وفواكـهٌ شتـى بِحَسْبِ مناهُم
يا شِبْعَةً كَمُلَتْ لـذي الإيمانِ
لَحْمٌ وخَمْرٌ والنِّسَـا وفواكهٌ
والطِّيبُ مَعْ رَوْحٍ ومَعْ رَيْحانِ

---

(١) سورة الدخان: الآية ٥٥.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٣٢.
(٣) سورة محمد: الآية ١٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥.
(٥) سورة الرحمن: الآية ٦٨.
(٦) سورة الواقعة: الآيتان ٢٠-٢١.

وفاكهة الجنة وثمارها يتناولها أهلها قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم:

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[١]، أي: ثمارها قريبة.

وقال تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٢]، أي: ثمارها قريبة.

وقال تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾[٣].

والطير الواحد من طيور الجنة كالجمل في الدنيا:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ في الجنة طيرًا أمثالَ البَخَاتيِّ**، فقال أبو بكر: إنَّها لناعمةٌ يا رسول الله، **فقال: أنْعَمُ منها مَنْ يأكُلُها، وأنتَ ممَّن يأكلها يا أبا بكر**»[٤]. والبُخْتُ: هي الإبل الخراسانية ذات السَّنَامَيْن.

وما العيشُ إلا ذاك لا عيشُ عَـزَّة
وسُعْدَى ولَا لَيْلَـى ولا أمِّ سالـمِ

وذلك فضـلُ الله يؤتيـه مـن يشا
ويُرْجَـى لعبـدٍ قـارعِ البـابِ لازمِ

ويأكل أهل الجنة فيها، ويشربون، لا يبولون ولا يمتخطون ولا يتغوطون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك؛ يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يأكلُ أهلُ الجنة فيها ويشربون لا يتغوَّطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكنْ طعامهم ذاك**

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢٣.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٥٤.

(٣) سورة الإنسان: الآية ١٤.

(٤) رواه الحاكم.

جشاء كَرَشْحِ المسْك؛ يلهمون التسبيحَ والتكبيرَ؛ كما يلهمون النفس»[١].

قال ابن القيم رحمه الله:

هـذا وتصريـفُ المآكـلِ منْهُمُ
عَرَقٌ يَفِيضُ لهم من الأبدانِ
كروائحِ المِسْكِ الذي ما فيه خَلْـ
ـطٌ غيـرُهُ مـن سائـرِ الألـوانِ
فتعودُ هاتيك البطونُ ضوامرًا
تبغي الطعامَ على مدى الأزمانِ
لا غائـطٌ فيهـا ولا بـولٌ ولا
مَخْـطٌ ولا بَصْـقٌ مـن الإنسانِ
ولهم جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يكو
نُ بـه تمـامُ الهَضْمِ بالإحسـانِ

وآنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون:

آنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[٣].

وقال: ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ لئلا يظنَّ أحدٌ أنها قواريرُ من زجاج.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٧١.

(٣) سورة الإنسان: الآيتان ١٥-١٦.

ومن شرب في آنية الذهب والفضة، وأكَلَ في صحافها في الدنيا ومات من غير توبة: لم يَشْرَبْ ولم يأكُلْ فيهما يوم القيامة.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما؛ فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**»(١).

ولهم خدم يطوفون عليهم بالطعام والشراب وسائر ما يحتاجون إليه:

قال تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**﴾(٣)، أي: لكثرتهم.

وقال تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ**﴾(٤)، أي: لحسنهم وجمالهم.

أهل الجنة لا يموتون ولا يمرضون ولا يهرمون ولا يشيبون ولا ييأسون:

قال تعالى: ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ**﴾(٥)؛ لا يذوق أهل الجنة فيها الموت إلا الموتة الأولى التي كانت في الدنيا.

عن أبي سعيد الخدريِّ، وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا دخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ينادي مناد: يا أَهْلَ الجنة، إنَّ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) سورة الواقعة: الآيتان ١٧-١٨.
(٣) سورة الإنسان: الآية ١٩.
(٤) سورة الطور: الآية ٢٤.
(٥) سورة الدخان: الآية ٥٦.

لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تَبْأَسُوا أبدًا»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطَرَ على قلب بَشَر؛ مَنْ يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «أَعْدَدتُّ لعبادي الصالحين ما لا عيْنٌ رأت، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطَرَ على قلب بشر، واقرؤوا إنْ شئتم ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله:

فيها الذي والله لا عيْنٌ رأتْ ... كلا ولم تَسْمَعْ به أذنان

كلا ولم يَخْطُرْ على قلبِ امرئٍ ... فيكونَ عنه معبِّرًا بلسانِ

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

دارٌ بها ما لَيْسَ عينٌ قد رأَتْ ... كلا ولا أُذنٌ به قد سمعَتْ

لا عمل لأهل الجنة ولا شُغُلَ: سوى الطعامِ والشراب، وفَضِّ الأبكار على شواطئ الأنهار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة يس: الآية ٥٦.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «يأكلُ أهلُ الجنة فيها ويشربون لا يبولون ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون، ولكنْ طعامهم ذاك جشاءٌ كرَشْحِ المسْك؛ يُلْهَمُونَ التسبيحَ والتكبيرَ كما يلهمون النَّفَسَ»[1].

وسئل ابن عبَّاس عن شغل أهل الجنة، وقد رفع الله عنهم التكاليف؟ فقال: الطعامُ والشراب وفكٌّ الأبكار على شواطئ الأنهار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: «هل يَمَسُّ أهلُ الجنة أزواجَهُمْ؟ قال: نعم، والذي بعثني بالحقِّ بذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وفَرْجٍ لا يَحْفَى، وشهوةٍ لا تنقطع»[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

ولقد رَوَيْنَا أنَّ شُغْلَهُمُ الذي
قد جاء في يَاسِينَ دون بيانِ
شُغْلُ العَرُوسِ بِعِرْسِهِ مِنْ بعد ما
لَعِبَتْ به الأشواقُ طُولَ زمانِ
والشوقُ يُزْعِجُهُ إليه ومالـه
بوصالـه سَبَبٌ من الإمكانِ
غابَ الرقيبُ وغاب كلُّ منغِّصٍ
فهما بثوبِ الوَصْلِ مشتملانِ

ويَرَوْنَ الله كما يُرَى القمران في الدنيا الشمس والقمر:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أبو نعيم.
(٣) سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٢٣.

قال ابن القيم رحمه الله:

ويرونه سبحانه مِنْ فوقِهِمْ نَظَرَ العِيَانِ كما يُرَى القمرانِ

وقال القحطاني رحمه الله:

واللهُ يومئذ نـراه كمـا نَـرَى قَمَرًا بـدا للسِّتِّ بعـد ثَمَـان

وعن أبي هريرة ﷺ: «أنَّ أناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نَرَى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: هل تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشمس ليس دونها سحابٌ، قالوا: لا، قال: فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كذلك»[١].

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

وأنـه يُـرَى بلا إنكـارِ فِي جَنَّةِ الفـردوسِ بالأبصارِ
كـلٌّ يـراه رؤيـةَ العِيَـانَ كما أتـى فـي مُحْكَمِ القـرآنِ
وفـي حديث سيِّـدِ الأنـامِ مِنْ غَيْرِ ما شَـك ولا إيهـامِ
رُؤْيَةَ حـق لـيس يمترونهـا كالشَّمْسِ صَحْوًا لا سحابَ دونها

ويزدادون حسنًا وجمالاً في يوم كل جمعة - كما مرَّ في حديث أنس، في سوق أهل الجنة - فهذه حياةُ أهل الجنة ونعيمهم أبد الآباد؛ قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٣].

فهل مِنْ عامل؟! وهل من محب؟! وهل من راغب؟! وهل من مشمر إلى الجنة؟! قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) سورة البينة: الآية ٨.
(٣) سورة الحجر: الآية ٤٨. (٤) سورة الصافات: الآية ٦١.

لمثل هذا النعيم المقيم، فليعمل العاملون، فليوحِّد الموحِّدون، وليصل المصلون، وليصم الصائمون، وليزكِّ المزكون، وليحج الحاجون، وليتطوع المتطوعون.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا مشمِّرٌ إلى الجنة، فإنَّ الجنة لا خَطَرَ لها، وهي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مَشيدٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناء جميلة، وحُلَلٌ كثيرةٌ في دار سليمة، وفاكهةٌ وخضرة وحبرة ونعمة، ومحلَّةٌ عالية بهيَّة؟! قالوا: نَعَمْ يا رسول الله، نحنُ المشمرون، فقال: قولوا إن شاء الله، فقال القومُ: إن شاء الله**»(١).

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه البزار وابن ماجة.

فصل
النــار وجحيمهـا

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[(١)].

والمجرمون: هم الذين لا يوحِّدون الله، ولا يصلُّون ولا يصومون ولا يمتثلون أمر الله ولا يجتنبون نهيه، وقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[(٢)] أي: آيسون من رحمة الله.

وجهنَّم سجنُ الكفَّار والعصاة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[(٣)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الحصيرُ هو السجن».

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[(٤)]. أي: مغلقة.

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

هذا وإنَّ الأشقيا لفي سَقَرْ	ألا فساءَت المُقَام والمَقَرّ
فكيف حالُ مَنْ عليه تؤصَدُ	يهبطُ تارَةً وتارَهْ يَصْعَدُ

لهم فيها صراخ:

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[(٥)].

ولهم فيها شهيق وزفير:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[(٦)].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٤.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٧٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨.
(٤) سورة الهمزة: الآية ٨.
(٥) سورة فاطر: الآية ٣٧.
(٦) سورة هود: الآية ١٠٦.

وفراشهم من نار ولحافهم من نار:

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[١].

قال محمد بن كعب، والضحاك، والسُّدِّيُّ، وغيرهم: المِهَادُ: الفراش، والغواشي اللِّحَاف.

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

مهادُهُمْ مِنْ تحتهم جحيمُ ... يُصَبُّ مِنْ فوقهمُ الحميمُ

وثيابهم من نار:

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[٣].

وقف الفرزدق على قبر زوجته نوار حين ماتت ودُفِنَتْ ومعه الحسن البصري فقال:

أخافُ وراء القبر ... أشدّ من القبرِ التهابًا وأضيقَا

إذا جاءني يومَ القيامة قائدٌ ... عنيفٌ وسَوَّاقٌ يسوقُ الفرزدقَا

لقد خابَ مَن أولاد آدَمَ مَن ... مشى إلى النار مغلول القلادة أَزْرَقَا

يُسَاقُ إلى نارِ الجحيمِ مسربلاً ... سرابيل قطران لباساً محرقا

إذا شربوا فيها الحميم رأيتَهُمْ ... يذوبون مِنْ حَرِّ الحميمِ تمزَّقَا

فبكى الحسن البصري عليه رحمه الله.

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤١.
(٢) سورة الحج: الآية ١٩.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٥٠.
(٤) سورة الغاشية: الآيتان ٦-٧.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما الضريعُ: هو شجرٌ في جهنم له شوكٌ، وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[(١)]، والغسلين هو الدمُ والقَيْحُ والصديد الذي يخرُجُ من أهل النار.

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[(٣)].

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

قُوتُهُمُ الضريعُ والزقومُ وبئسَ ظِلاً لَهُمُ اليَحْمُومُ

وشرابهم فيها ماءٌ حار شديد الحرارة، وماء بارد شديد البرودة:

قال تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[(٤)].

الحميمُ: هو الماء الحار، والغسَّاق قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الماءُ البارد المتناهي في البرودة.

إذا رفع الكفار الماء ليشربوا، سقطت جلدة وجوههم من شدة حره:

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[(٥)].

فإذا شربوه قطع أمعاءهم:

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[(٦)].

(١) سورة الحاقة: الآيتان ٣٥-٣٦.
(٢) سورة إبراهيم: الآيتان ١٦-١٧.
(٣) سورة الدخان: الآيت ٤٣-٤٦.
(٤) سورة النبأ: الآيتان ٢٨-٢٩.
(٥) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٦) سورة محمد: الآية ١٥.

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:

يُسْقَــوْنَ فيهـا مِـنْ حميـم آنِ على كلاليـب مـن النيـران
يَشْوِي الوجوهَ والجُلُودَ يَصْهَرُ ويَقْطَـعُ الأمعـاءَ حيـن يَقْطُرُ

فلا إله إلا الله، سجنهم عذاب، وفراشهم عذاب، ولحافهم عذاب، ولباسهم عذاب، وطعامهم عذاب، وشرابهم عذاب، وحياتهم عذاب، دارُ غَضِبَ الله على أهلها؛ فلا يرضى عنهم أبدًا.

ورد في الأثر «**أن الله يقول لأهل النار يوم القيامة: يا أهل النار، كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، فيقول الله عز وجل: بئس ما اجترحتم في يوم، أو بعض يوم، ناري وسخطي؛ فلا أرضى عنكم أبدًا**».

يطلبون الخروج من النار؛ فلا يخرجون:

قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾[1].

فأجابهم الله عز وجل بأن قال: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾[2] أي: محمد ﷺ.

ويطلبون إجازة يوم واحد ليرتاحوا فيه من العذاب؛ فلا يعطون:

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ**

---

(١) سورة غافر: الآية ٣٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٣٧.

آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(١).

ويتمنون الموت، فلا يموتون:

قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾(٤).

فالكافرُ لا يموتُ في النار، ولا يحيا حياة تنفعه؛ لأنَّ حياته مكدَّرةٌ بالعذاب المَهين، ومنغَّصة بالعذاب الأليم.

ألا ما لنَفْسٍ لا تموتُ فينقضي عناها ولا تَحْيَا حياةً لها طَعْمُ

فلا إله إلا الله ما أشد حسرتَهُمْ، وما أعظَمَ خسارتَهُمْ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٥).

وعن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يُؤْتَى يومَ القيامة بالمَوْتِ كأنه كبشٌ أملَحُ فيوقَفُ بين الجنة والنار؛ فيقال: يا أهل الجَنَّة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبُّون وينظرون ويقولون: نعم، ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبُّون وينظرون ويقولون: نعم؛ فيؤمر به فيذبَحُ بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، خلودٌ فلا موت،**

(١) سورة غافر: الآيات ٤٩-٥٢.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٧٧.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٧.
(٤) سورة الأعلى: الآية ١٣.
(٥) سورة مريم: الآية ٣٩.

يا أهل النار خلودٌ فلا موت؛ ثم قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾»(١).

عباد الله هذه دار الظَّلَمَة، دارُ الكفرة الفجرة، دارُ مَنْ يتعدَّى حدودَ الله، وينتهكُ حرماتِ الله.

فيا أيها المسلم

وإنْ عَمِلْتَ سيِّئًا فاستَغْفِرِ ... وتُبْ إلى الله بِدَارًا يَغْفِرِ
وبادرنْ بالتوبةِ النصوحِ ... قَبْلَ احتضارٍ وانتزاعِ الرُّوحِ
لا تحتقرْ شيئًا من المآثمِ ... فإنَّما الأعمالُ بالخواتمِ
والموتَ فاذكُرْهُ وما وراءَهْ ... فمنه ما لأَحَدٍ بَرَاءَهْ
وإنه لَلْفَيْصَلُ الذي به ... يَنْكَشِفُ الحالُ فلاً يَشْتَبِه

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❑ ❑ ❑

(١) رواه البخاري ومسلم.

الفهرس